مطمئنين ! هذا يعني ان ليس ثمة سلم حقيقي ! » وفي مقام آخر : « السلم انتصار وهمي ، أخرس ، مستمر للقوى الممكنة ، على الشهوات المحتملة ! » . ويقول : « ربما كان السلم تلك الحالة التي تتمثل بها كراهية الناس بعضهم لبعض ، في اعمال انشائية ، عوضاً عن ان تتمثل في التدمير والتخريب اثناء الحرب ».

الواضح من هذه الافكار والآراء السياسية التي انتهى اليها ڤاليري ، انها لا تتخطى منطق الواقع الاوربي ، ولا تحاول ان تسبغ على الاحداث العامة لوناً من هوى خاص ، او عاطفة خاصة ، فمن أين هذا التشاؤم وكيف نفسره ؟

الحقيقة ان ڤاليري واحد من عديد المفكرين الاوربيين الذين شغلهم مصير الحضارة الغربية اكثر مما شغلهم اصلاح هذه الحضارة ، وتدارك النتائج التي تنجم عن عيوبها .

فهؤلاء المفكرون ـ شبنغلر ، اندره سواريس ، كايزرلنغ ، برغسون الخ ... ـ ادركوا الخطر ، لانهم كانوا يعيشونه ، ولكن عاطفتهم الاوربية ظلت مكانها ، ولم يتزحزحوا عنها قيد انملة ، فأنت لا تقرأ كلمة واحدة كتبها ڤاليري مثلاً في شجب الاستعمار الغربي ، ولا تلاحظ انه حاول مقاومة الشرور والمفاسد التي تنجم عنه في داخل اوربا ، في تفكيرها وسياستها ، وما ذاك إلا لأنه مفتون ، على غير وعي منه ، بما حققه الاوربيون من فتوحات ، في عالم الفن والعلم ، فهو إذ ينعى اوربا لنفسها نعياً منطقياً رياضياً ، لا يفكر ابداً ، ولا يخطر على باله شيء مما فعله اهل اوربا في فلسطين ، والعراق ، والهند ، وايران ، ومصر ، وسائر بلاد افريقيا الشمالية والجنوبية !

ذلك هو مصاب اوربا الحقيقي الذي لم يوفق احد من مفكريها الى التقاطه واظهاره عيانا إلا فيما شذّ او ندر ! والذين تشاءموا منهم ـ واقواهم المتشائمون ـ إنما كانوا يصدرون في افكارهم ، عن إحساس بالواقع ، دون استقراء لأسبابه الخارجة عن اوربا ، الداخلة في تكوين بلائها وعذابها .

اوربا جزء من العالم ، وهي أقل اجزائه عدداً ، وأضعفها إيماناً بالمبادىء الانسانية ، وأبعدها عن تحقيق ما تستطيع تحقيقه من خير وعدالة وانصاف ، ولكنها تصرّ على اعتبار نفسها فوق العالم ، وتسعى الى السيطرة ، متناقضة بذلك مع منطق الحضارة الانسانية ، أفتل التناقض وأقساه !

وهذا هو السبب في تشاؤم كل مفكر أوربي عظيم !

عبد اللطيف شراره

في غيبة الحلم

[الى كل من عانى الهزيمة بعد الكفاح ، ولكنه لم يستسلم لان الكفاح في روحه ودمه]

•

نحن لم نحمل من الليل سوى وهج النجوم
وسوى بارق طهر رفّ في العتم الأثيم
واختزنا من زهيد الزهو في عهد الهموم
خمرة تمسح عن أضلعنا ذكرى الجحيم

★

نحن ، والصحراء : ارض الكفر بالغيث الكريم
شربت دفق صبانا ، وسقت شوك الهشيم
دمنا المسفوح كم روّى من الرمل العقيم ،
ونضبنا ، ورآنا الفجر انصاب وجوم
وجفوناً حفيت ، اودى بها لفح السموم
ترمق الأفق وترجو مهبط الطلّ الرحيم
ترمق الأفق وترجو رجعة الحلم العظيم
صغُرتْ احلامنا في غيبة الحلم العظيم
وابتلينا بالظما الكافر ، والجوع اللئيم
فهززنا الشهوة الحرّى على صدرٍ رميم
ووردنا بركاً سوداء فاضت بالحميم
واعتصرنا ثمرات نضحت سمّ السموم

★

أمسنا ! خدنَ الظما الكافر والجوع اللئيم !
أمسنا المهدور في الصحراء ، في الرمل العقيم ! !
صبّ ما شئت من الحسرة ، من ذكرى الجحيم
في مدانا ، في مدى حاضرنا الغضّ النعيم
انت في عتمتك النكراء خيط من همـوم
يتلاشى في البحار الزرق ، في النور العميم
نحن لم نحمل من الليل سوى وهج النجوم

بيروت ـ الجامعة الاميركية

خليل حاوي